

أضواء البيان

@ 72 @ الموضع . وقد بين تعالى أنهم اتبعوهم في أول النهار عند إشراق الشمس ، فمن

الآيات الدالة على اتباعه لهم قوله تعالى في (الشعراء) : { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ أَتِ بِرَبِّكَ إِنِّي زَاكُّكُمْ مَّتَّابِعُونَ } يعني سيتبعكم فرعون وجنوده . ثم بين كيفية اتباعه لهم فقال { فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَاثٌ يَّظُنُّونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُدُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ فَأَتَّبَعُوهُمْ مِّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّ لَكَ لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } . .

وقوله في هذه الآية : { إِسْرَءِيلَ فَأَتَّبَعُوهُمْ مِّشْرِقِينَ } أي أول النهار عند إشراق الشمس . ومن الآيات الدالة على ذلك أيضاً قوله تعالى في (يونس) : { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا } ، وقوله في (الدخان) : { فَأَسْرَبَ بِهِ بَعْدَآدَىٰ لَّيْلًا إِنَّ زَاكُّهُمْ مَّتَّابِعُونَ } إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إتياعه لهم . وأما غرقه هو وجميع قومه المشار إليه بقوله هنا : { فَغَشَّيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَاءً غَاشِيَهُمْ } فقد أوضحه تعالى في مواضع متعددة من كتابه العزيز . كقوله في (الشعراء) : { فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِصَخَاكِ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْأُخْرَيْنَ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأُخْرَيْنَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ } ، وقوله في (الأعراف) : { فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ } ، وقوله في (الزخرف) : { فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ } ، وقوله في (البقرة) : { وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } ، وقوله في (يونس) : { حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنِّي لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ الذِّرَاءُ مَدَّتْ بِهِ بَنَوْا إِسْرَءِيلَ وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } ، وقوله في (الدخان) : { وَاتَّخَذَ الْبَحْرُ رَهَوًا إِنَّهُمْ يَحْتَدُونَ } إلى غير ذلك من الآيات .

والتعبير بالاسم المبهم الذي هو الموصول في قوله { فَغَشَّيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَآ
غَشَّيَهُمْ } يدل على تعظيم الأمر وتفخيم شأنه ، ونظيره في القرآن قوله : { إِذْ
يَغْشَى السَّدْرَةَ مَا يَغْشَى } ، وقوله : { وَاللَّهُمُّؤْتَفِكَةَ أَهْوَى }
فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى } ، وقوله : { فَأَوَّحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى } . واليم
: البحر . والمعنى : فأصابهم من البحر ما أصابهم وهو الغرق والهلاك المستأصل .